مجلة الآداب والعلوم الانسانية
Journal of Arts and Humanities

" المسائل العقدية المتعلقة بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من إثبات السمع والبصر والعين الله تعالى مع الإشارة إليها بما هو محسوس " جمعًا ودراسة

إعداد/
د. أنفال بنت يحيى بن إمام محمود
imamtwin@gmail.com

مجلة الآداب والعلوم الانسانية
Journal of Arts and Humanities

مجلة الآداب والعلوم الانسانية
Journal of Arts and Humanities

الملخص:

تتناول هذه الدراسة المسائل العقدية المرتبطة بما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من إثبات صفات السمع والبصر والعين الله تعالى، مع الإشارة إليها بألفاظ تدل على ما هو محسوس في المخلوق، وتهدف إلى بيان المنهج السليم في فهم هذه النصوص من منطلق عقيدة أهل السنة والجماعة، الذين يثبتون ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

تناقش الدراسة الأحاديث النبوية التي جاء فيها ذكر هذه الصفات، وتُبيّن كيف أن الإشارة الحسية – مثل الإشارة إلى العين أو السمع – لا تعني التشبيه أو التجسيم، وإنما جاءت لبيان إثبات الصفة على الوجه اللائق بالله تعالى، وتوضح أن الإشارة في بعض الأحاديث لا تستلزم التجسيم، بل تفهم في إطار التنزيه مع الإثبات.

وتخلص الدراسة إلى ضرورة اعتماد منهج السلف في التعامل مع نصوص الصفات، والتحذير من التأويل المفرط أو التشبيه المذموم، مع التأكيد على أن الله صفات تليق بجلاله وعظمته، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

Abstract:

This study addresses theological issues related to the reports attributed to the Prophet Muhammad ﷺ that affirm attributes of hearing, sight, and the eye for Allah Almighty, with references made in a form that may resemble physical or tangible elements. The aim is to clarify the correct approach to understanding these texts based on the creed of Ahl al-Sunnah wa al-Jama‘ah, who affirm what Allah has affirmed for Himself or what His Messenger ﷺ has affirmed for Him—without distortion, denial, speculation, or anthropomorphism.

The study examines prophetic hadiths that mention these divine attributes and explains that physical references—such as pointing to the eye or ear—do not imply likening Allah to His creation. Rather, they serve to confirm the attribute in a manner befitting His majesty. emphasizing that such references should be understood within a framework of both affirmation and transcendence.

The study concludes by stressing the importance of following the methodology of the early generations (the Salaf) in dealing with scriptural texts concerning divine attributes, warning against excessive interpretation or wrongful comparison. It affirms that Allah possesses attributes that befit His glory and perfection—"There is nothing like unto Him, and He is the All-Hearing, the All-Seeing."

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، (يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران : ١٠٢)، (يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِۦ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (النساء: ١)، (يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (الأحزاب: ٧٠ – ٧١)

أما بعد:

فإن العلم بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها، لأن متعلقه أشرف المتعلقات، وثمرته أفضل الثمرات، وغايته أسمى الغايات؛ فمتعلقه هو الباري، وثمرته التوحيد والإيمان وغايته تحقيق العبودية لله تعالى. (ابن القيم، 86/1)

ولذا كانت أساس دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم معرفة الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله ثم يتبع ذلك أصلان عظيمان: أحدهما: تعريف الطريق الموصلة إليه وهي شريعته المتضمنة لأمره ونهيه، الثاني: تعريف السالكين ما لهم بعد الوصول إليه من النعيم الذي لا ينفد وقرة العين التي لا تنقطع، وهذان الأصلان تابعان للأصل الأول ومبنيان عليه، فأعرف الناس بالله أتبعهم للطريق الموصل إليه وأعرفهم بحال السالكين عند القدوم عليه. (ابن القيم، 152/1)

ولما كان العلم بالشيء حتى يمكن وصفه له ثلاثة طرق: إما رؤيته، أو رؤية مثيله، أو وصفه ممن يعرفه وعِلْمُنَا بِرَبِّنا وأسمائه وصفاته محصور في الطريق الثالث وهو وصفه ممن يعرفه، وليس أحد أعلم بالله من الله ثم رسله الذين أوحى إليهم وعلمهم وجب لزوم طريق الوحي في أسماء الله وصفاته. (أصول الإيمان، 93/92)

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بتفاصيل الأسماء والصفات ومعانيها، وأفصح الناس في التعبير عنها وإيضاحها وكشفها بكل طريق، ومن هنا جاء هذا البحث، والذي بعنوان: "المسائل العقدية المتعلقة بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من إثبات السمع والبصر والعين الله تعالى مع الإشارة إليها بما هو محسوس جمعًا ودراسة" لبيان طريق من طرق إيضاح النبي صلى الله عليه وسلم للصفات، وفهمها فهما عقديا سليما على ضوء أقوال سلف الأمة وأئمتها، ورد تحريف المبطلين عنها.

مشكلة البحث:

تعد نصوص الصفات الإلهية الواردة في السنة النبوية، وخصوصا ما يتعلق بإثبات صفات السمع والبصر والعين الله تعالى، من القضايا العقدية التي أثارت جدلا واسعا بين المدارس الكلامية والفرق الإسلامية عبر العصور، وقد وردت في بعض الأحاديث النبوية إشارات محسوسة إلى هذه الصفات، مثل الإشارة إلى العين أو السمع، مما أدى إلى تباين في فهمها وتأويلها بين من يثبتها على ظاهرها، ومن يتأولها على وجه مجازي، ومن ينفي دلالتها من الأصل، وتكمن الإشكالية في كيفية التعامل مع هذه النصوص دون الوقوع في التشبيه أو التعطيل، وفي ذات الوقت المحافظة على منهج التنزيه مع الإثبات.

تسعى هذه الدراسة إلى معالجة هذه الإشكالية من خلال استقراء النصوص النبوية المتعلقة بهذه الصفات، وتحليل دلالاتها في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، التي تقوم على إثبات الصفات الإلهية كما وردت من غير تكييف ولا تمثيل. كما تهدف إلى بيان أثر الإشارات المحسوسة الواردة في بعض الأحاديث على فهم الصفات، وبيان مدى مشروعيتها في سياق إثبات الصفات دون تشبيه الله يخلقه. ومن هنا تبرز أهمية البحث في توضيح المنهج الصحيح في التعامل مع هذه المسائل العقدية الدقيقة، وتفكيك الإشكالات التي تحيط بها في ضوء النصوص الشرعية وفهم السلف الصالح.

أهداف البحث:

1. بيان منهج أهل السنة والجماعة في إثبات صفات السمع والبصر والعين الله تعالى، كما وردت في النصوص الشرعية. دون تحريف أو تعطيل أو تمثيل.

2 تحليل دلالات الإشارات المحسوسة الواردة في بعض الأحاديث النبوية المتعلقة بهذه الصفات، وبيان أثرها في إثبات الصفات دون الوقوع في التشبيه.

3 الرد على الشبهات الكلامية التي أثيرت حول فهم هذه الصفات، وبيان انحرافات الفرق التي أولتها تأويلاً باطلاً أو أنكرت دلالتها.

4. تعزيز الفهم الصحيح للنصوص الشرعية المتعلقة بصفات الله تعالى، وفق ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وفهم السلف الصالح، بما يسهم في ترسيخ العقيدة الصحيحة لدى الباحثين والدارسين.

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يتناول جانبًا عقديًا دقيقا يتعلق بصفات الله تعالى كما وردت في السنة النبوية، والتي قد تفهم أحيانًا على وجه يُشبه صفات المخلوقين بسبب الإشارات الحسية الواردة فيها. وفي ظل ما يشهده الواقع المعاصر من تعدد في المناهج وتفاوت في فهم النصوص الشرعية، تبرز الحاجة إلى تأصيل منهجي صحيح يبين كيفية التعامل مع هذه النصوص، وفق عقيدة أهل السنة والجماعة التي تثبت الصفات على الوجه اللائق بالله دون تشبيه أو تأويل فاسد. ويسهم هذا البحث في تصحيح المفاهيم العقدية، والرد على التأويلات المنحرفة، كما يُعزز الفهم الراسخ المبني على النصوص وفهم السلف، وهو ما يجعله ذا فائدة علمية وعملية للمتخصصين وطلبة العلم على حد سواء.

أسباب اختيار الموضوع:

اخترت دراسة هذه الأحاديث والبحث فيها لبيانها لطريق من طرق إيضاح النبي صلى الله عليه وسلم لأسماء الله وصفاته، ودفع الإيهام بكون هذا الطريق متكأ لقول أهل التمثيل.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن أتبع فيه المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي النقدي.

المبحث الأول: ألفاظ الحديث ورواياته

أولاً: ما ورد من إثبات صفتي السمع والبصر مع الإشارة إلى العين والأذن:

أخرج أبو داود في سننه بسنده عن مولى أبي هريرة، قال: سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية: (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) (النساء: ٥٨ سميعاً بصيرا) النساء : ٥٨، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع إبهامه على أذنه، والتي تليها على عينه"، قال أبو هريرة: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها ويضع إصبعيه"، قال ابن يونس: قال المقرئ: يعني: إن الله سميع بصير، يعني أن الله سمعا وبصرا قال أبو داود: وهذا رد على الجهمية (أبي داود، 223/4)، قال ابن حجر: "سنده قوي على شرط مسلم". (ابن حجر، 373/13)

كما أخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد بسنده في موضعين؛ فقال: عن أبي يونس سليم بن جبير مولى أبي هريرة، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: في هذه الآية: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) (النساء : ٥٨)، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع إبهامه على أذنه وأصبعه التي تليها على عينه، قال أبو هريرة رضي الله عنه: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك". (ابن خزيمة، 97/1)

وقال: حدثني أبو يونس – مولى أبي هريرة، قال: سمعت أبا هريرة، يقرأ هذه الآية: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) (النساء : ٥٨)، قرأ إلى قوله: سميعا بَصِيرًا (النساء: ٥٨)، فيضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه ويقول: "هكذا سمعت رسول الله يقرؤها ويضع أصبعيه".(ابن خزيمة، 98)

كما أخرجه الطبراني بسنده عن أبي يونس سليم بن جبير، قال: سمعت أبا هريرة، يقول: "قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَنتِ إِلَى أَهْلِهَا) (النساء: ٥٨) إلى قوله: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيرًا) (النساء : ٥٨)، ويضع إبهامه على أذنه، والتي تليها على عينه ، ويقول لنا: "هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ، ويضع إصبعيه". (الطبراني، 132/9-133)

كما أخرجه البيهقي بسنده قال: حدثني أبو يونس، سليم بن جبير مولى أبي هريرة قال سمعت أبا هريرة، رضي الله عنه يقرأ هذه الآية: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) (النساء: ٥٨)، إلى قوله : إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (النساء : ٥٨)، يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه، قال أبو هريرة رضي الله عنه: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها ، ويضع إصبعيه". (البيهقي، 462/1)

كما أخرجه الحاكم في مستدركه بسنده، قال ثنا أبو يونس سليم بن جبير مولى أبي هريرة، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: " قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (النساء : ٥٨)، فوضع إصبعه الدعاء على عينيه وإبهاميه على أذنيه " ثم قال: "هذا حديث صحيح، ولم يخرجاه، وقد احتج مسلم بحرملة بن عمران وأبي يونس، والباقون متفق عليهم، ولهذا الحديث شاهد على شرط مسلم ". (الحاكم، 75/1)

كما أخرجه ابن بطة بسنده قال: حدثني أبو يونس قال: سمعت أبا هريرة، يقول هذه الآية: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) (النساء : ٥٨)، ويضع إبهاميه على أذنيه والتي تليها على عينيه ويقول: هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها ويضع إصبعيه". (ابن بطة، 117/7)

كما أخرجه اللالكائي بسنده عن أبي يونس مولى أبي هريرة، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنه سميع بصير" فوضع إصبعه الدعاء وإبهامه على عينه وأذنه". ثم قال: أخرجه أبو داود وهو إسناد صحيح على شرط مسلم يلزمه إخراجه". (اللالكائي، 454/3-455)

قال الشيخ الألباني رحمه الله عن الحديث: "وحديث أبي هريرة.. أخرجه أبو داود (٢) ٢٧٧ - (٢٧٨) وابن خزيمة في (التوحيد) (ص ٣١) والحاكم (١) (٢٤) والبيهقي في (الأسماء) ص (١٧٨) وابن منده أيضا (٨٢/(٢) وقال : رواه أبو معشر عن المقبري عن أبي هريرة ورواه ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير مرثد بن عبد الله عن عقبة ابن عامر. وروي عن الحسن بن ثوبان عن أبي الخير عن عقبة بن عامر نحوه قلت: وإسناد حديث أبي هريرة صحيح على شرط مسلم وكذا قال الحاكم والذهبي والحافظ (١٣/ ٣١٨). (الألباني، 65/64)

ثانيا: ما ورد من إثبات صفتي السمع والبصر مع الإشارة إلى العين فقط:

أخرج الطبراني بسنده عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ربنا سميع بصير" وأشار بيده إلى عينيه (الطبراني، 282/17)، قال ابن حجر رحمه الله : "سنده حسن". (ابن حجر، 373/13)

ثالثا: ما ورد من إثبات العين، مع الإشارة إلى العين فقط :

أخرج البخاري في صححه بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور -وأشار بيده إلى عينه - وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية". (البخاري، 121/9)

وعن ابن عباس، في قوله عز وجل: (تجرى بأعيننا) (القمر: ١٤) قال: "أشار بيده إلى عينيه". (اللالكائي، 456/3)

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالحديث:

المطلب الأول: إثبات الصفات مع الإشارة إليها بما هو محسوس معهود

دلت الأحاديث السابقة على طريقة من طرق إيضاح الصفات وإثباتها؛ ففيها إثبات صفتي السمع والبصر وصفة العين لله تعالى مع الإشارة إليها بما هو محسوس بيّن من صفات نفس الإنسان، وقد صدر هذا الفعل من النبي صلى الله عليه وسلم وهو أعلم الناس بتفاصيل الأسماء والصفات وحقائقها، وأفصح الناس في التعبير عنها وإيضاحها وكشفها بكل طريق ومن ذلك ما يفعله بإشارته وحاله. (ابن القيم، 537/536)

ولا ريب أن مقصود النبي صلى الله عليه وسلم بذلك تحقيق الصفة لا تمثيل الخالق بالمخلوق فمعنى فعل النبي صلى الله عليه وسلم تحقيق وصف الله تعالى بأنه سميع بصير، وأن له عينان وأنه لا يصح عليه النقص والصمم والعمى والعور فأشار إلى عينه في حديث الدجال ووضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه رفعا لتوهم أن المراد بالسمع والبصر غير الصفتين المعلومتين لصفة السمع والبصر، إثباتًا لصفة العينين لله تعالى وأن هذه الصفات حقيقة لا مجازا. (ابن تيمية، 123/122)

وهذه الأحاديث أصل في قاعدة إثبات الصفات مع الإشارة إليها بما هو محسوس معهود بيّن؛ إثباتًا لحقيقة الصفة، ورفعا لتوهم المجاز، وردا على النفاة والمؤولة والمفوضة، وليس ذلك على طريق التمثيل، ولهذه الأحاديث نظائر تثبت هذه القاعدة وترسيها، وتبين حكم إثبات الصفة مع الإشارة إليها وفيما يلي تفصيل ذلك: (آل حمدان، 99/94)

أولاً : نظائر الحديث في إثبات الصفات مع الإشارة إليها بما هو محسوس:

1- عن عبد الله رضي الله عنه، قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول أنا الملك، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتُ بِيَمِينِهِ، سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الزمر : ٦٧). (البخاري، 126/6)

وفي رواية عند أحمد والترمذي مر يهودي بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : "يا يهودي حدثنا ، فقال: كيف تقول يا أبا القاسم إذا وضع الله السموات على ذه، والأرض على ذه، والماء على ذه، والجبال على ذه، وسائر الخلق على ذه – وأشار أبو جعفر محمد بن الصلت بخنصره أولاً، ثم تابع حتى بلغ الإبهام – فأنزل الله وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قدره (الزمر : ٦٧). (أحمد، 2267)

قال عبد الله بن الإمام أحمد رحمهم الله " قال أبي رحمه الله : "جعل يحيى يشير بأصابعه وأراني أبي كيف جعل يشير بأصبعه يضع أصبعًا أصبعًا حتى أتى على آخرها". (بن أحمد، 264/1)

– عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول: "يأخذ الجبار سماواته وأرضه بيده" (مسلم، 2149/4)، وقبض بيده فجعل يقبضها ويبسطها ، ثم يقول: "أنا الجبار، أين الجبارون؟ أين المتكبرون ؟ ، قال : " ويتميل رسول الله عن يمينه وعن يساره، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، حتى إني أقول: أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم؟". (ابن ماجه، 71/1)

يقول ابن القيم رحمه لله تعليقا على الحديث : " جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض يده ويبسطها "، تحقيقا لإثبات اليد وإثبات صفة القبض". (ابن القيم، 68/67)

ويقول: "وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض يده ويبسطها يحكي ربه تبارك وتعالى تحقيقا لإثبات اليد وصفة القبض والبسط، لا تشبيها وتمثيلاً". (ابن القيم، 537)

قوله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: "وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله، وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة، يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس «اللهم اشهد، اللهم اشهد ثلاث مرات..". (مسلم، 890/2)

يقول ابن القيم رحمه الله تعليقا على الحديث : " ومن هذا إشارته إلى السماء حين استشهد ربه تبارك وتعالى على الصحابة أنه بلغهم تحقيقا لإثبات صفة العلو، وأن الرب الذي استشهده فوق العالم مستو على عرشه". (ابن القيم، 68/67)

– أخرج ابن ماجة بسنده عن الأعمش، عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول: "اللهم ثبت قلبي على دينك ، فقال رجل: يا رسـول الله تخاف علينا وقد آمنا بك، وصـدقناك بما جئت به، فقال: "إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن عز وجل يقلبها وأشار الأعمش بإصبعيه. (ابن ماجه، 1260/2)

هذا وقد ساق ابن القيم جملة من الأحاديث الدالة على هذه القاعدة ثم قال: "وهذا ونحوه إنما يراد به تحقيق الصفة وإثباتها، لا تشبيه الموصوف وتمثيله، كما أن قوله : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٍ) (الشورى: ١١)، إنما سيق لإثبات الصفات وعظمتها لا لنفيها فهذا الكشف والبيان والإيضاح لا مزيد عليه تقرير لثبوت هذه الصفة، ونفي الإجمال والاحتمال عنها". (ابن القيم، 539/536)

ثانيا : حكم اقتران إثبات الصفة لله تعالى بالإشارة إليها بالفعل المحسوس

لا شك أن هذه الأخبار دالة على جواز الإشارة إلى صفات نفسه عند ذكر صفات الله تعالى، كما هي دالة على جواز اقتران إثبات الصـفات لله تعالى بالإشـارة إليها بالفعل، وقد تلقى أهل السـنة هذه النصـوص بالقبول والاحتجاج بها على أهل البدع من معطلة الصـفات، وبينوا أن المراد منها إثبات حقيقة الصـفة، وأنه ليس تمثيل لصـفات الله بصـفات خلقه، وعليه فلا محظور على من اتبع الحديث وأشار إلى ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم عند ذكر السمع والبصر وغيرها مما ثبت به النص كما فعل ذلك السلف إلا إذا خشي أن يدخل على من يراه شبهة التمثيل تعالى الله عن ذلك. (آل حمدان، 98)

يقول أبو يعلى الحنبلي : " وهذا الخبر دلالة على جواز الإشارة إلى صفات نفسه عند ذكر صفات الله تعالى". (ابن الحنبلي، 339)

ويقول ابن حجر: وقد سئلت هل يجوز لقارئ هذا الحديث أن يصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! فأجبت وبالله التوفيق: إنه إن حضـر عنده من يوافقه على معتقده وكان يعتقد تنزيه الله تعالى عن صـفات الحدوث وأراد التأسـي محضـا جاز، والأولى به الترك خشية أن يدخل على من يراه شبهة التشبيه تعالى الله عن ذلك". (ابن حجر، 390/13)

ولا يُشـكل هذا مع ما روي عن بعض أئمة أهل السـنة من النهي عن ذلك؛ فإن ذلك لا يثبت عنهم، وعلى فرض ثبوته، فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم الإشارة ولنا فيه أسوة، كما أنه قد يحمل على خشية التمثيل، ومما روي عنه المنع من الإشارة إلى الصفة عند ذكرها:

ما روي عن الإمام مالك رحمه الله : قال ابن عبد البر : روى حرملة بن يحيى قال: سمعت عبد الله بن وهب يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: من وصف شيئا من ذات الله مثل قوله: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ) (المائدة: ٦٤)، وأشار بيده إلى عنقه، ومثل قوله: (وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الشورى: ١١) فأشار إلى عينيه أو أذنه، أو شيئًا من بدنه قطع ذلك منه؛ لأنه شبه الله بنفسه. ثم قال مالك: أما سمعت قول البراء حين حدث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يضحى بأربع من الضحايا. وأشار البراء بيده كما أشار النبي صلى الله عليه وسلم بيده، (ابن حبان، 240/13–241)، قال البراء: ويدي أقصر من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكره البراء أن يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالاً له وهو مخلوق فكيف الخالق الذي ليس كمثله شيء ؟! ". (ابن عبد البر، 145/7–146)

وقد أجيب عما روي عن مالك رحمه الله : بأنه لم يثبت عنه؛ فإن ابن عبد البر لم يذكره بإسناده المتصل عن الإمام مالك، بل ذكره بإسناد منقطع عن حرملة بن يحيى، وقد اختلف في حرملة فمنهم من ضعفه ؛ ومنهم من وثقه ". (ابن أبي حاتم، 274/3)

ما روي عن الإمام أحمد رحمه الله : أن رجلاً قرأ عليه : وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَـــتُهُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّـــمَوَاتُ مطويات بِيَمِينِهِ) (الزمر : ٦٧)، ثم أومأ بيده ، فقال له أحمد: "قطعها الله قطعها الله قطعها الله" ثم حرد وقام ". (الأصـــبهاني، 208/1)

وقد أجيب عن ذلك بأن هذا الأثر منقطع الإسناد، فمن رواه عن الإمام أحمد لم يذكره بإسناد متصل عنه، كما أنه مخالف لما رواه عنه ابنه عبد الله من الإشارة كما تقدم. (آل حمدان، 99)

ثالثا: موقف المبتدعة مما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من إثبات الصفات مع الإشارة إليها بما هو محسوس – عرض ونقد:

للمبتدعة ومن تأثر بهم تجاه هذه الأخبار اتجاهان رئيسيان:

الاتجاه الأول: اتجاه التمثيل فقد احتجت الممثلة والمجسمة بقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله ليس بأعور وأشار بيده إلى عينه" على أن عينه كسائر الأعين. (العيني، 102/25)

والجواب عن ذلك: أنه قد ثبت بالدليل النقلي والعقلي تنزيه الله عن مماثلة خلق؛ فأما النقل؛ فقد قال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَـــيْءٌ) (الشورى: ١١)، وقال: (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَأَعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ، هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) (مريم: ٦٥)، وقال: (وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أحد) (الإخلاص: ٤)، وقال: (أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) (النحل: ١٧).

وأما العقل؛ فمن وجوه:

الأول: أنه قد علم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تباينا في الذات، وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات، لأن صفة كل موصـوف تليق به، كما هو ظاهر في صـفات المخلوقات المتباينة في الذوات، فقوة البعير مثلاً غير قوة الذرة، فإذا ظهر التباين بين المخلوقات مع اشتراكها في الإمكان والحدوث فظهور التباين بينها وبين الخالق أجلى وأقوى.

الثاني: أن يُقال : كيف يكون الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه مشـــابها في صـــفاته للمخلوق المربوب الناقص المفتقر إلى من يكمله؟، وهل اعتقاد ذلك إلا تنقص لحق الخالق، فإن تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصا.

الثالث: أننا نشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية فنشاهد أن للإنسان يدا ليست كيد الفيل، وله قوة ليست كقوة الجمل، وله عين ليست كعين الذباب، وله سمع وبصر ليسا كسمع وبصر الديك مع الاتفاق في الاسم. فهذه يد وهذه يد، وهذه قوة وهذه قوة، وهذه عين وهذه عين، وهذا سـمع وبصـر وذاك سـمع وبصـر وبينهما تباين في الكيفية والوصـف، فعلم بذلك أن الاتفاق في الاسم لا يلزم منه الاتفاق في الحقيقة. (العثيمين، 27/26)

وإذا تقرر ذلك وجب إثبات الصـفات لله تعالى من العين والسـمع والبصـر ونحوها مما دلت عليه النصـوص مع نفي النقص والصـم والعمى والعور عنه جلت عظمته، وأنه ليس كمن لا يرى ولا يبصر، ولا يسمع بل منتف عنه جميع النقائص والآفات.

الاتجاه الثاني: اتجاه التأويل:

وقد جاء هذا الاتجاه في مقابل اتجاه التمثيل وردة فعل عنه ونتيجة له :

فرد فريق إثبات العين لله، وقالوا: إن المراد إثبات البصـــر والرد على من أوله، لا إثبات العين فالمراد التمثيل للفهم لا إثبات العين، يقول القسطلاني في شرحه لحديث الدجال: وأشار صـلى الله عليه وسلم بيده المقدسـة إلى عينه فيه إيماء إلى الرد على من يقول: معنى رؤيته تعالى ووصفه بأنه بصير : العلم والقدرة، فالمراد التمثيل والتقريب للفهم لا إثبات الجارحة. (القسطلاني، 383/10)

وذهب فريق آخر إلى أن الإشارة ليست لإثبات صفة العين لله، وإنما لإثبات كذب الدجال، يقول ابن حجر في شرحه لحديث الدجال : (ولم أر في كلام أحد من الشراح حمل هذا الحديث على معنى خطر لي فيه إثبات التنزيه وحسم مادة التشبيه عنه: وهو أن الإشارة إلى عينه إنما هي بالنسبة إلى عين الدجال فإنها كانت صحيحة مثل هذه ثم طرأ عليها العور لزيادة كذبه في دعوى الإلهية؛ وهو أنه كان صحيح العين مثل هذه فطرأ عليها النقص ولم يستطع دفع ذلك عن نفسه). (ابن حجر، 390/13)

والجواب عن ذلك أن في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الله ليس بأعور " وإشارته بيده بيان أنه تعالى بصير ذو عينين خلاف الأعور. (الدارمي، 327/1)

ففي فعل النبي صلى الله عليه وسلم إثبات وتأكيد لصفة العينين لله تعالى وأن هذه الصفة حقيقة لا مجازا، يقول الإمام ابن خزيمة رحمه الله : " بين النبي صلى الله عليه وسلم أن لله عينين، فكان بيانه موافقا لبيان محكم التنزيل"، وهذا فيه رد صريح على أهل التأويل والتحريف. (ابن خزيمة، 97/1)

المطلب الثاني: إثبات صفة السمع والبصر لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته:

أولاً : معنى صفتي السمع والبصر :

أ- معنى صفة السمع:

السمع لغة: (سمع) السين والميم والعين أصل واحد، وهو إيناس الشيء بالأذن، فالسَّمْعُ : قوة في الأذن بها تدرك الأصوات، ويعبر تارة بالسمع عن الأذن وتارة عن الفهم، وتارة عن الطاعة، وقد تأتي سمعت بمعنى أجبت؛ ومنه قولهم: سمع الله لمن حمده أي أجاب حمده وتقبله" . (ابن فارس، 102/3)

وفعل السمع يراد به أربعة معان: أحدهما سمع إدراك ومتعلقه الأصوات؛ ومنه قوله تعالى : (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا) (المجادلة : 1).

الثاني: سمع فهم وعقل ومتعلقه المعاني؛ ومنه قوله تعالى: (وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) (البقرة: ٢٨٥)، الثالث: سمع إجابة وإعطاء ما سئل؛ ومنه سمع الله لمن حمده، الرابع: سمع قبول وانقياد ؛ ومنه قوله تعالى: (سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ) (المائدة: ٤١) أي: قابلون له ومنقادون غير منكرين له. (ابن القيم، 75/2-76)

والسميع من صفات الله عز وجل وأسمائه: أي الذي لا يعزب عن إدراكه مسموع، وإن خفي، فهو الذي وسع سمعه كل شيء، وهو المدرك لجميع الأصوات مهما خفتت يسمع السر والنجوى بسمع هو صفة لا يماثل أسماع خلقه". (الزجاج، 42)

وسمعه تعالى نوعان:

أحدهما: عام وهو سمعه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة الخفية والجلية، وإحاطته التامة بها، وهذا سمع يتعلق بالمسموعات، ومعناه إدراك الصوت، وهو على ثلاثة أقسام:

١- ما يقصد به التهديد، ومنه قوله تعالى: (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) (الزخرف: ٨٠)، وقوله : (لقد سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ) (آل عمران: ١٨١).

2- ما يُقصد به التأييد، ومنه قوله تعالى : (إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى) (طه: ٤٦).

3- ما يقصد به بيان إحاطة الله تعالى، ومنه قوله تعالى: (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا) (المجادلة : 1).

والثاني: خاص وهو سمع الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدين فيجيبهم ويثيبهم. ومنه قوله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ) (إبراهيم: 39). (ابن تيمية، 8/434-435)

ب- معنى صفة البصر :

البصير لغة: (بصر) الباء والصاد والراء أصلان: أحدهما: العلم بالشيء؛ يقال : هو بصير به ومنه البصيرة والبرهان، وأصل ذلك كله وضوح الشيء، ويقال : بصرت بالشيء: إذا صرت به بصيرا عالما، وأبصرته إذا رأيته، وأما الأصل الآخر فبصر الشيء غلظه. (ابن فارس، 1/253-254)

والذي يعنينا هنا هو الأصل الأول: فالبصر حاسة الرؤية. وهو حس العين والجمع أبصار، والبصر العلم وبصرت بالشيء: علمته؛ والبصير : العالم، وقد بصر بصارة والتبصر : التأمل والتعرف. (الخليل، 7/117)

والبصير من صفات الله عز وجل وأسمائه فعيل بمعنى مفعل، وله معنيان:

الأول: المدرك لجميع المرئيات من الأشخاص والألوان مهما لطفت أو بعدت، فلا تؤثر على رؤيته الحواجز والأستار، وهو دال على ثبوت صفة البصر له سبحانه على الوجه الذي يليق به . (الزجاج، 42)

الثاني: العليم، فالله سبحانه وتعالى بصير، يرى كل شيء وإن خفي، وهو سبحانه بصير بمعنى: عليم بأفعال عباده، قال تعالى: (والله بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (الحجرات : ١٨) ، والذي نعمل بعضه مرئي وبعضه غير مرئي، فبصر الله إذا ينقسم إلى قسمين، وكله داخل في اسمه البصير. (العثيمين، 208)

هذا وإن من الصفات الذاتية الثابتة الله تعالى المتعلقة بصفة البصر : العين والنظر والرؤية، فالله تعالى يبصر بعينه ويرى وينظر إلى من يشاء من عباده (السقاف، 344)، والنظر يراد به نظر خاص وهو نظر المحبة أو الرحمة والعطف ومنه قوله تعالى: (وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (آل عمران: ٧٧)، إذ كان المحبوب والمرحوم ينظر إليه والبغيض يعرض عنه، وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب، وعائل مستكبر". (مسلم، 1/102)

وقد يراد بالنظر والرؤية العموم؛ فقد قال الله تعالى للمنافقين: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) (التوبة: ١٠٥)، وقال تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) (يونس: ١٤)، وهو يعم عمل الخير والشر، ومع اللفظ ما يدل على المراد به، ولا يستوي هذا وهذا. (ابن تيمية، 8/436/437)

والرؤية المضافة إلى الله تعالى لها معنيان: المعنى الأول: العلم. ومنه قوله تعالى عن يوم القيامة : (إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا) (المعارج: ٦ – ٧)، فالرؤية هنا رؤية العلم، لأن اليوم لم يكن بعد، فمعنى: (وَنَرَاهُ قَرِيبا) (المعارج: ٧)، أي: نعلمه قريبا.

والمعنى الثاني: رؤية المبصرات، يعني: إدراكها بالبصر، ومنه قوله تعالى : (الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العليم) (الشعراء: ٢١٨ – ٢٢٠)، فالرؤية هنا رؤية البصر، لأمرين:

الأول: أن قوله: (الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ) (الشعراء: ٢١٨)، لا يصح أن تكون الرؤية فيه بمعنى العلم، لأن الله يعلم به حين يقوم وقبل أن يقوم. الثاني: ولقوله تعالى: (وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) (الشعراء: ٢١٩) فهو يؤيد أن المراد بالرؤية هنا رؤية البصر. (العثيمين، 1/327-328)

وهذه الرؤية والتي بمعنى إدراك المبصرات على ثلاثة أقسام:

1- قسم يقصد به النصر والتأييد ومنه قوله تعالى: (إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى) (طه : ٤٦).

٢- قسم يقصد به الإحاطة والعلم، ومنه قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) (النساء: ٥٨).

3- وقسم يقصد به التهديد، ومنه قوله تعالى: (أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى) (العلق : ١٤)، وقوله : (يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (التوبة: ٩٤).

وصفة السمع والبصر والرؤية والنظر من الصفات الاختيارية المتعلقة بمشيئة الله تعالى وقدرته وسمعه تعالى وبصره ورؤيته ونظره متجدد، فهو سبحانه يسمع ويبصر وينظر ويرى الأقوال والأعمال بعد أن وجدت، وهذا التجدد أمر وجودي وليس مجرد نسب وإضافات عدمية لا حقيقة لها في الأعيان. (العثيمين، 330/1)

يقول شيخ الإسلام رحمه الله : "القرآن والأحاديث وأقوال السلف والأئمة كلها .. تبين أنه .. إذا خلق المخلوقات رآها وسمع أصوات عباده وكان ذلك بمشيئته وقدرته؛ إذ كان خلقه لهم بمشيئته وقدرته وبذلك صاروا يرون ويسمع كلامهم، وقد جاء في القرآن والسنة في غير موضع أنه يخص بالنظر والاستماع بعض المخلوقات كقوله: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان وملك كذاب، وعائل مستكبر "، وكذلك في " الاستماع " قال تعالى: (وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ) (الانشقاق : ٢)، أي استمعت. (مسلم، 102/1)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم .. : "لله أشد إذنا إلى صاحب القرآن من صاحب القينة إلى قينته " (البخاري، 68)، فهذا تخصيص بالإذن وهو الاستماع لبعض الأصوات دون بعض، وكذلك (سمع) الإجابة كقوله: (سمع الله لمن حمده)، وقول الخليل : (إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ) (إبراهيم : ٣٩)، وقوله : (إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ) (سبأ: 50) ، يقتضي التخصيص بهذا السمع فهذا التخصيص ثابت في الكتاب والسنة وهو تخصيص بمعنى يقوم بذاته بمشيئته وقدرته، كما تقدم – وعند النفاة هو تخصيص بأمر مخلوق منفصل لا بمعنى يقوم بذاته، وتخصيص من يحب بالنظر والاستماع المذكور يقتضي أن هذا النوع منتف عن غيرهم، لكن مع ذلك هل يقال: إن نفس الرؤية والسمع الذي هو مطلق الإدراك هو من لوازم ذاته فلا يمكن وجود مسموع ومرئي إلا وقد تعلق به كالعلم؟ أو يقال: إنه أيضًا بمشيئته وقدرته فيمكنه ألا ينظر إلى بعض المخلوقات؟ هذا فيه قولان: والأول: قول من لا يجعل ذلك متعلقا بمشيئته وقدرته، وأما الذين يجعلونه متعلقا بمشيئته وقدرته فقد يقولون: متى وجد المرئي والمسموع وجب تعلق الإدراك به، والقول الثاني: أن جنس السمع والرؤية يتعلق بمشيئته وقدرته فيمكن ألا ينظر إلى شيء من المخلوقات وهذا هو المأثور عن طائفة من السلف". (ابن تيمية، 134-132/13)

ويقول رحمه الله : " الآيات التي تدل على " الصفات الاختيارية التي يسمونها " حلول الحوادث " كثيرة جدا. وهذا كقوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا) (الأعراف: ١١)، فهذا بين في أنه إنما أمر الملائكة بالسجود بعد خلق آدم؛ لم يأمرهم في الأزل ... كذلك "السمع " و " البصر " " والنظر ". قال الله تعالى : (وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ) (التوبة: ٩٤)، هذا في حق المنافقين وقال في حق التائبين : (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) (التوبة : ١٠٥)، فقوله: فَسَيَرَى الله – دليل على أنه يراها بعد نزول هذه الآية الكريمة والمنازع إما أن ينفي الرؤية؛ وإما أن يثبت رؤية قديمة أزلية فقط.

وكذلك قوله: (ثُمَّ جَعَلْنَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) (يونس: ١٤)، ولام " كي " تقتضي أن ما بعدها متأخر عن المعلول فنظره كيف يعملون هو بعد جعلهم خلائف، وكذلك : (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا) (المجادلة: ١)، أخبر أنه يسمع تحاورهما حين كانت تجادل وتشتكي إلى الله، وقال النبي صلى الله عليه وسلم:" إذا قال الإمام : "سمع الله لمن حمده، فقولوا: ربنا ولك الحمد يسمع الله لكم " (مسلم، 303/1)، فجعل سمعه لنا جزاء وجوابًا للحمد فيكون ذلك بعد الحمد، والسمع يتضمن مع سمع القول قبوله وإجابته، ومنه قول الخليل : (إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ) (إبراهيم : ٣٩)، وكذلك قوله : (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ) (آل عمران: ١٨١)، وقوله لموسى وهارون: (إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى) (طه : ٤٦)، و" العقل الصريح " يدل على ذلك؛ فإن المعدوم لا يرى ولا يسمع بصريح العقل واتفاق العقلاء .. فإذا خلق العباد وعملوا وقالوا؛ فإما أن نقول: إنه يسمع أقوالهم ويرى أعمالهم؛ وإما لا يرى ولا يسمع. فإن نفي ذلك تعطيل لهاتين الصفتين وتكذيب للقرآن وهما صفتا كمال لا نقص فيه فمن يسمع ويبصر أكمل ممن لا يسمع ولا يبصر، والمخلوق يتصف بأنه يسمع ويبصر فيمتنع اتصاف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق له وقد عاب الله تعالى من يعبد من لا يسمع ولا يبصر في غير موضع؛ ولأنه حي والحي إذا لم يتصف بالسمع والبصر اتصف بضد ذلك وهو العمى والصمم وذلك ممتنع وبسط هذا له موضع آخر، وإنما المقصود هنا: أنه إذا كان يسمع ويبصر الأقوال والأعمال بعد أن وجدت؛ فإما أن يقال: إنه تجدد شيء، وإما أن يقال : لم يتجدد شيء، فإن كان لم يتجدد، وكان لا يسمعها ولا يبصرها، فهو بعد أن خلقها لا يسمعها ولا يبصرها. وإن تجدد شيء: فإما أن يكون وجودًا أو عدمًا؛ فإن كان عدمًا فلم يتجدد شيء، وإن كان وجودًا : فإما أن يكون قائما بذات الله أو قائما بذات غيره والثاني يستلزم أن يكون ذلك الغير هو الذي يسمع ويرى فيتعين أن ذلك السمع والرؤية الموجودين قائم بذات الله وهذا لا حيلة فيه. (ابن تيمية، 10/2-18)

ثانيا : نظائر الحديث في إثبات صفتي السمع والبصر لله تعالى:

ورد إثبات صفتي السمع والبصر في نصوص كثيرة في الكتاب والسنة؛ منها:

قوله تعالى: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) (المجادلة: ١).

قوله تعالى : (إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى) (طه : 46).

قوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الشورى: ١١).

قوله صلى الله عليه وسلم: "أيها الناس أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، ولكن تدعون سميعا بصيرا" . (البخاري، 2077/4)

ثالثا : طرق إثبات السمع والبصر لله تعالى:

دل على إثبات صفة السمع والبصر لله تعالى الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة . (الغنيمان، 187/1)

يقول شيخ الإسلام رحمه الله " إثبات كونه سميعا بصيرا وأنه ليس هو مجرد العلم بالمسموعات والمرئيات، هو قول أهل الإثبات قاطبة من أهل السنة والجماعة من السلف والأئمة وأهل الحديث والفقه والتصوف والمتكلمين من الصفاتية". (ابن تيمية، 509/508)

وقد بيّن شيخ الإسلام رحمه الله أن للناس" في إثبات كونه سميعا بصيرا طرق:

أحدها: السمع، وهو ما في الكتاب والسنة من وصفه بأنه سميع بصير ولا يجوز أن يراد بذلك مجرد العلم بما يسمع ويرى؛ لأن الله فرق بين العلم وبين السمع والبصر، وفرق بين السمع والبصر، وهو لا يفرق بين علم وعلم لتنوع المعلومات قال تعالى: (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الأعراف: ٢٠٠)، وفي موضع آخر : (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (فصلت : ٣٦) ،

وقال تعالى: (وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢٢٧)، ذكر سمعه لأقوالهم وعلمه ليتناول باطن أحوالهم. وقال لموسى وهارون : (إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى) (طه : ٤٦)، وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ على المنبر : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) (النساء : ٥٨)، ووضع إبهامه على أذنه وسبابته على عينه، ولا ريب أن مقصوده بذلك تحقيق الصفة لا تمثيل الخالق بالمخلوق فلو كان السمع والبصر : العلم لم يصح ذلك، الطريق الثاني : إنه لو لم يتصف بالسمع والبصر لاتصف بضد ذلك وهو العمى والصمم... وذلك لأن المصحح لكون الشيء سميعًا بصيرًا متكلمًا هو الحياة فإذا انتفت الحياة امتنع اتصاف المتصف بذلك، فالجمادات لا توصف بذلك لانتفاء الحياة فيها، وإذا كان المصحح هو الحياة كان الحي قابلاً لذلك؛ فإن لم يتصف به لزم اتصافه بأضداده؛ بناء على أن القابل للضدين لا يخلو من اتصاف بأحدهما.....الطريق الثالث: في إثبات السمع والبصر أن السمع والبصر من صفات الكمال؛ فإن الحي السميع البصير أكمل من حي ليس بسميع ولا بصير، كما أن الموجود الحي أكمل من موجود ليس بحي والموجود العالم أكمل من موجود ليس بعالم، وهذا معلوم بضرورة العقل، وإذا كانت صفة كمال فلو لم يتصف الرب بها لكان ناقصا والله منزه عن كل نقص .. وأيضا فلو لم يتصف بهذا الكمال لكان السميع البصير من مخلوقاته أكمل منه. ومن المعلوم في بداهة العقول أن المخلوق لا يكون أكمل من الخالق إذ الكمال لا يكون إلا بأمر وجودي والعدم المحض ليس فيه كمال وكل موجود للمخلوق فالله خالقه ويمتنع أن يكون الوجود الناقص مبدعًا وفاعلاً للوجود الكامل إذ من المستقر في بداهة العقول أن وجود العلة أكمل من وجود المعلول دع وجود الخالق الباري الصانع فإنه من المعلوم بالاضطرار أنه أكمل من وجود المخلوق المصنوع المفعول، فالله سبحانه وتعالى يستعمل في حقه قياس الأولى كما جاء بذلك القرآن وهو الطريق التي يسلكها السلف والأئمة كأحمد وغيره من الأئمة، فكل كمال ثبت للمخلوق فالخالق أولى به، وكل نقص ينزه عنه المخلوق فالخالق أولى أن ينزه عنه.

الطريق الرابع في إثبات السمع والبصر : أن نفي هذه الصفات نقائص مطلقا سواء نفيت عن حي أو جماد، وما انتفت عنه هذه الصفات لا يجوز أن يحدث عنه شيء ولا يخلقه ولا يجيب سائلاً ولا يعبد ولا يدعى كما قال الخليل: (يَأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا) (مريم : ٤٢)، وقال إبراهيم لقومه : (قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (3) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا وَآبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) (الشعراء: ٧٢ – ٧٤).

وهذا لأنه من المستقر في الفطر أن ما لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم لا يكون ربا معبودا كما أن ما لا يغني شيئًا ولا يهدي ولا يملك ضرا ولا نفعا لا يكون ربا معبودًا، وكذلك من المستقر في العقول أن ما لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ناقص عن صفات الكمال لأنه لا يسمع كلام أحد ولا يبصر أحدًا ولا يأمر بأمر ولا ينهى عن شيء ولا يخبر بشيء فإن لم يكن كالحي الأعمى الأصم كان بمنزلة ما هو شر منه وهو الجماد الذي ليس فيه قبول أن يسمع ويبصر ويتكلم ونفي قبول هذه الصفات أبلغ في النقص والعجز وأقرب إلى اتصاف المعدوم ممن يقبلها واتصف بأضدادها، إذ الإنسان الأعمى أكمل من الحجر، والإنسان الأبكم أكمل من التراب، ونحو ذلك مما لا يوصف بشيء من هذه الصفات، وإذا كان نفي هذه الصفات معلومًا بالفطرة أنه من أعظم النقائص والعيوب وأقرب شبها بالمعدوم كان من المعلوم بالفطرة أن الخالق أبعد عن هذه النقائص والعيوب من كل ما ينفي عنه، وأن اتصافه بهذه العيوب من أعظم الممتنعات، وهذه الطريق ليست الثانية ولا الثالثة فإن الثانية مبنية على أنه حي فلا بد من اتصافه بها أو بضدها. والثالثة مبنية على أنها صفات كمال فيجب اتصاف الرب بها، وأما هذه فمبنية على أن نفي هذه الصفات نقائص ومعايب ومذام يمتنع وصف الرب بها.

(ابن تمية، 537/508)

رابعا: موقف المبتدعة من صفتي السمع والبصر الثابتة لله تعالى – عرض ونقد–:

أجمع أهل العلم والإيمان على إثبات صفتي السمع والبصر لله تعالى، ولم ينكر ذلك إلا شواذ الطوائف المارقة من الحق، كالجهمية، وإخوانهم من بعض المعتزلة، وليس معهم على ذلك إلا التحذلق، والكلام الفارغ من الحق والمعنى الصحيح، أو التوهم بأن إثبات الصفات يقتضي التشبيه، حيث توهموا أن صفات الله كصفات خلقه، تعالى الله ذلك علوا كبيرا . (الغنيمان، 187/1)

وفيما يلي تفصيل ذلك:

أولاً : موقف الجهمية من صفتي السمع والبصر الثابتة الله تعالى:

أنكرت الجهمية اتصاف الله بالسمع والبصر بناء على مذهبهم القائم على نفي اتصاف الله بالصفات، وأنه تعالى لا يوصف بشيء مما يوصف به العباد، وأن من وصفه بذلك فقد شبهه بخلقه . (البغدادي، 199)

وللرد عليهم يقال:

أولاً: أن الاتفاق في الاسم لا يلزم منه التماثل في المسمى، وقد أخبر الله عن نفسه أنه سميع بصير، وأعلمنا أنه جعل الإنسان سميعا بصيرا، فقال : (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا) (الإنسان: ٢)، وسمع الخالق وبصره ليس كسمع المخلوق وبصره، فصفاته تعالى لا تماثل صفات المخلوق كما أن ذاته لا تماثل ذواتهم فلفظ السمع والبصر واحد، لكن حقيقتهما مختلفة، والفرق بين سمع وبصر الخالق وسمع وبصر المخلوق كبير، يقول أبو القاسم الأصبهاني في بيان الفرق بين سمع وبصر الخالق وسمع وبصر المخلوق: "ومن أسماء الله تعالى: السميع البصير، خلق الإنسان صغيرا لا يسمع، فإن سمع لم يعقل ما يسمع فإذا عقل ميز بين المسموعات، فأجاب عن الألفاظ بما يستحق، وميز بين الصوت الحسن والقبيح، وميز الكلام المستحسن من المستقبح ثم كان لسمعه مدى إذا جاوزه لم يسمع، ثم إن كلمه جماعة في وقت واحد عجز عن استماع كلامهم، وعن إدراك جوابهم، والله عز وجل السميع لدعاء الخلق وألفاظهم عند تفرقهم واجتماعهم، مع اختلاف ألسنتهم ولغاتهم يعلم ما في قلب القائل قبل أن يقول، ويعجز القائل عن التعبير عن مراده فيعلم الله فيعطيه الذي في قلبه، والمخلوق يزول عنه السمع بالموت، والله تعالى لم يزل ولا يزال يفني الخلق ويرثهم، فإذا لم يبق أحدًا قال : لمن الملك اليوم فلا يكون من يرد، فيقول: لله الواحد القهار. (ابن خزيمة، 57/1–59)

وأما البصير: فهذا الاسم يقع مشتركا، فيقال : فلان بصير، ولله المثل الأعلى، والرجل قد يكون صغيرًا لا يبصر ولا يميز بالبصر بين الأشياء المتشاكلة، فإذا عقل أبصر فميز بين الرديء والجيد، وبين الحسن والقبيح يعطيه الله هذا مدة ثم يسلبه ذلك، فمنهم من يسلبه وهو حي ومنهم من يسلبه بالموت، والله بصير لم يزل ولا يزول والخلق إذا نظر إلى ما بين يديه عمي عما خلفه وعما بعد منه والله تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة في خفيات مظالم الأرض فكل ما ذكر مخلوقا به وصفه بالنكرة، وإذا وصف به ربه وصفه بالمعرفة". (الأصبهاني، 138/1–139)

ثانيا: أن نفي السمع والبصر عن الله تعالى ذم له تعالى وتنقيص وتشبيه له بالأموات والأصنام، وقد قال خليل الرحمن صلوات الله وسلامه عليه، لأبيه: (يأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا) (مريم : ٤٢)، ومن المحال أن يعيبه بعبادة ما لا يسمع، ولا يبصر، ثم يدعوه إلى عبادة من لا يسمع، ولا يبصر، وقد قال تعالى: (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) (الفرقان : ٤٤)، فأعلمنا عز وجل أن من لا يسمع، ولا يعقل كالأنعام، بل هو أضل سبيلاً، ومعبود الجهمية عليهم لعائن الله كالأنعام التي لا تسمع ولا تبصر، وعليه فمن أنكر سمع الله وبصره فهو كافر. (ابن خزيمة، 57/1)

يقول ابن خزيمة " باب إثبات السمع والرؤية لله جل وعلا الذي هو كما وصف نفسه: سميع بصير، ومن كان معبوده غير سميع بصير، فهو كافر بالله السميع البصير، يعبد غير الخالق البارئ، الذي هو سميع بصير". (ابن خزيمة، 106/1)

ثالثا : أن السمع والبصر صفة كمال اتصف بها المخلوق، فالله أولى بها وأحق لأن واهب الكمال أولى به وأحق. (ابن تيمية، 397)

ثانيا: موقف المعتزلة من صفتي السمع والبصر الثابتة لله تعالى:

المعتزلة تنكر اتصاف الله بالصفات، وتثبت أسماء محضة مجردة عن الصفات، فالصفات في زعمهم ليست قائمة بالذات زائدة عليها، وإنما هي عين الذات، وقد اتفقت المعتزلة على ذلك إلا أنهم اختلفوا في السمع والبصر هل هما بمعنى العلم أم شيء مغاير للعلم، على قولين؛ فقالت معتزلة البصرة بمغايرة السمع والبصر للعلم، وقالت معتزلة بغداد بأن السمع والبصر هما بمعنى العلم، وحديث الباب يرد على كلتا الطائفتين، فهو يثبت الصفة لله تعالى، وأنها شيء زائد على الذات، مغاير للعلم.

يقول أبو يعلى الحنبلي: اعلم أن... المراد بالإشارة .. تحقيق السمع والبصر .. فالمقصود أن الله عز وجل يرى المرئيات برؤيته، ويسمع المسموعات بسمعه، فأشار إلى الأذن والعين تحقيقا للسمع والبصر لأجل أنهما محل للسمع والبصر، وقد يسمى محل الشيء باسمه لما بينهما من المجاورة والقرب؛ ولأن هذا الخبر أفاد أن وصفه عز وجل بأنه سميع بصير لا على معنى وصفه بأنه " عليم "كما ذهب إليه بعض أهل النظر ولم يثبتوا لله عز وجل في وصفنا له بأنه " سميع " معنى خاصا، وفائدة زائدة على وصفنا له بأنه عليم (الأشعري، 143/1)، فأفاد بذلك تحقيق معنى السمع والبصر، وأنه معنى زائد على العلم، إذ لو كان معنى ذلك العلم لكان يشير إلى القلب الذي هو محل العلم، لينبه بذلك على معناه، فلما أشار إلى العين والأذن – وهما محلان للسمع والبصر – حقق الفرق بين السمع والبصر وبين العلم". (أبي يعلي، 338)

ويقول البيهقي : " والمراد بالإشارة المروية في هذا الخبر تحقيق الوصف لله عز وجل بالسمع والبصر ، فأشار إلى محلي السمع والبصر منا لإثبات صفة السمع والبصر لله تعالى ، كما يقال قبض فلان على مال فلان ، ويشار باليد على معنى أنه حاز ماله ، وأفاد هذا الخبر أنه سميع بصير له سمع وبصر لا على معنى أنه عليم ، إذ لو كان بمعنى العلم لأشار في تحقيقه إلى القلب؛ لأنه محل العلوم منا". (البيهقي، 462/1-463)

فمعنى فعل النبي صلى الله عليه وسلم تحقيق وصف الله تعالى بأنه سمع بصير، وأنه لا يصح عليه النقص والصمم والعمى فوضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه رفعا لتوهم أن المراد بالسمع والبصر غير الصفتين المعلومتين لصفة السمع والبصر، وأن هذه الصفات حقيقة لا مجازا، ومما يبطل تأويل بعض المعتزلة للمسع والبصر بالعلم، تفريق الله تعالى بين العلم والبصر. ألا ترى أن الله عز وجل ، قد علم أعمال العباد قبل أن يعملوها، وقد علم أنك تصلي قبل أن تصلي وأنك تجاهد قبل أن تجاهد، ولكنه لا يراك مصليا حتى تصلي ولا عاملاً حتى تعمل، وكذلك سائر الأعمال". (ابن بطة، 321/7)

وقد سمع الله قول اليهود: إن الله فقير ونحن أغنياء، حين قالوه وعلمه قبل أن يقولوه، فهل يجوز لأحد أن يقول إن الله سمعه قبل أن يقولوه؟! وكذلك قول المجادلة في زوجها قد سمع الله جدالها، وسمع محاورتها للنبي صلى الله عليه وسلم حين جادلته وحاورته وعلمه قبل أن تجادل وتحاور به، فهل لأحد أن يقول إن الله قد سمعه قبل أن يكون؟! وإذا لم يجز ذلك فقد علم أن في سميع معنى غير معنى عليم" . (ابن قتيبة، 37)

ويلزم من قال إن معنى سميع بصير : عليم؛ أن يسوي الله تعالى بالأعمى الذي يعلم أن السماء خضراء ولا يراها، والأصم الذي يعلم أن في الناس أصواتا ولا يسمعها، ولا شك أن من سمع وأبصر أدخل في صفة الكمال ممن انفرد بأحدهما دون الآخر، فظهر أن كونه

تعالى سميعا بصيرا يفيد قدرًا زائدا على كونه عليمًا، وكونه سميعا بصيرا يتضمن أنه يسمع بسمع ويبصر ببصر وبهذا يبطل قول المعتزلة وتأويلهم. (ابن حجر، 373/13)

ثالثا: موقف الأشاعرة والماتريدية ومن وافقهم من صفتي السمع والبصر الثابتة لله تعالى:

أثبتت الأشاعرة والماتريدية صفتي السمع والبصر لله تعالى إلا أنهما ذهبا إلى نفي التجدد فيهما بناء على شبهة حلول الحوادث، وقد دلت النصوص الشرعية على وقوع التجدد في هذه الصفات، وأن المصلي عندما يقول سمع الله لمن حمده، فالله تعالى يسمع دعاءه ويستجيبه بعد وجوده؛ لا قبل وجوده (البغدادي، 98/96)، وقد سمع الله تعالى قول المجادلة بعد وجوده، وهو سبحانه يرى أعمال عباده بعد وقوعها فإذا وجدت الأقوال والأعمال سمعها ورآها والرؤية والسمع أمر وجودي لا بد له من موصوف يتصف به فإذا كان هو الذي رآها وسمعها امتنع أن يكون غيره هو المتصف بهذا السمع وهذه الرؤية. وأن تكون قائمة بغيره فتعين قيام هذا السمع وهذه الرؤية به بعد أن خلقت الأعمال والأقوال. (ابن تيمية، 256/6-257)

وهذا هو الكمال في الرؤية والسمع فقبل أن يوجد الفعل لم يكن يرى وبعد أن يعدم لا يرى وإنما يرى حال وجوده، وكذلك سمع أصوات العباد هو عند وجودها لا بعد فنائها، ولا قبل حدوثها. قال تعالى : (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) (التوبة : ١٠٥)، وقال : (وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) (المجادلة: ١)، فالسمع والبصر قديم النوع حادث الأفراد. (ابن تيمية، 313/16)

رابعا: موقف المشبهة من صفتي السمع والبصر الثابتة لله تعالى:

زعمت المشبهة أن سمع الله وبصره كسمع المخلوق، وبصره تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا (ابن بطة، 327/7)، وقد كذبهم الله بقوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الشورى: ١١)، فنفى أن يكون له مماثل مع إثبات السمع والبصر له (العثيمين، 119/4)، فالله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله بل هو موصوف بصفات الكمال منزه عن النقائص، وليس له مثل في شيء من صفاته، لم يزل ولا يزال سبحانه موصوفا بصفات الكمال، منعونا بنعوت الجلال والإكرام سبحانه وتعالى (ابن تيمية، 164/2) ، وقوله : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) من أعظم الأدلة على كثرة صفات كماله ونعوت جلاله وأنها لكثرتها وعظمتها وسعتها لم يكن له مثل فيها. (ابن القيم، 294)

يقول شيخ الإسلام: الله " سبحانه ليس كمثله شيء فيما يوصف به من صفات الكمال. فهو منزه عن النقص المضاد لكماله ومنزه عن أن يكون له مثل في شيء من صفاته" (ابن تيمية، 98/16)، و"مباينته للمخلوقين وتنزهه عن مشاركتهم أكبر وأعظم مما يعرفه العارفون من خليقته ويصفه الواصفون". (ابن تيمية، 472/6)

المطلب الثالث: إثبات صفة العين لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته:

أولاً: نظائر الحديث في إثبات صفة العين لله تعالى:

قوله تعالى: (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ) (هود: ٣٧).

قوله تعالى: (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) (طه : ٣٩).

قوله تعالى : (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا) (المؤمنون : ٢٧).

قوله تعالى : (واصبر لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ) (الطور : ٤٨)

قوله تعالى : (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَن كَانَ كَفَرَ) (القمر : 14).

وقد دل الحديث على أن لله عينين اثنين يرى بهما، وأنه لا يصح عليه النقص والصمم والعمى والعور فأشار صلى الله عليه وسلم إلى عينه في حديث الدجال، إثباتًا لصفة العينين لله تعالى وأن هذه الصفة حقيقة لا مجازا، وعلى هذا إجماع السلف.(العثيمين، 314/1)

ووجه دلالة الحديث على إثبات العينين لله تعالى قوله صلى الله عليه وسلم : "إن الله ليس بأعور" فهذا يدل على أن لله عينين حقيقة؛ لأن العور فقد أحد العينين، أو ذهاب نورها، إذ العور في اللغة ذهاب حس إحدى العينين (ابن سـيده، 340/2)؛ فإذا أطلق في اللغة دل على مرض في إحدى عيني الإنسان وكل ذي عينين، وعلى هذا فالعور لا يكون إلا في إحدى العينين. (ابن فارس، 184/4)

ولهذا صار هذا الحديث من الأدلة الواضحة على إثبات تثنية العين لله تعالى، ويزيد ذلك وضوحًا إشارته صلى الله عليه وسلم إلى عينه لتحقيق الوصف، أي أن لله عينين سالمتين من كل عيب كاملتين، بخلاف الدجال الفاقد لإحدى عينيه، وذلك من أعظم الأدلة على كذبه. (الغنيمان، 285/1)

ووجه الجمع بين ما ورد في القرآن الكريم من مجيء صفة العين بلفظ الإفراد ولفظ الجمع، وبين ما دل عليه الحديث من إثبات التثنية في العين ما يلي:

أولاً : لا تنافي بين ما ورد من إفراد العين في قوله : (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) (طه : ٣٩)، وبين الجمع والتثنية لأن المفرد المضاف يعم فيشمل كل ما ثبت لله من عين، وحينئذ فلا منافاة بين المفرد وبين الجمع أو التثنية. (ابن عثيمين، 321/1)

ثانيا : حديث الباب صريح بأنه ليس المراد إثبات عين واحدة، فإن ذلك عور ظاهر، تعالى الله عنه (ابن القيم، 38)، كما أنه يدل على أن لله تعالى عينين اثنين فقط إذ لو كان لله أكثر من اثنتين، لكان البيان به أوضح من البيان بالعور، لأنه لو كان لله أكثر من عينين، لقال: إن ربكم له أعين، لأنه إذا كان له أعين أكثر من ثنتين، صار وضوح أن الدجال ليس برب أبين. (ابن عثيمين، 313/1)

ثالثًا: لا تنافي بين التثنية والجمع وبيان ذلك أن يُقال: "إن كان أقل الجمع اثنين، فلا منافاة، لأننا نقول: هذا الجمع دال على اثنتين، فلا ينافيه. وإن كان أقل الجمع ثلاثة، فإن هذا الجمع لا يراد به الثلاثة، وإنما يراد به التعظيم والتناسب بين ضمير الجمع وبين المضاف إليه " . (ابن عثيمين، 313/1)

وعلى هذا فلا إشكال في إفراد الصفة في آية وجمعها في آية أخرى، إذا علم أن لغة العرب تتسع لذلك، فقد يعبر عن الاثنين بلغة الجمع، كما قال تعالى : (إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما) (التحريم : ٤)، فجمع القلوب والمخاطب مثنى، وقد تعبر بالواحد وتريد الاثنين، تقول: رأيت بعيني، ولا يفهم من ظاهر الخطاب أن المتكلم ليس له إلا عين واحدة. (آل عبد اللطيف، 284)

يقول ابن القيم رحمه الله : " إن لغة العرب متنوعة في إفراد المضاف وتثنيته وجمعه بحسب أحوال المضاف إليه، فإن أضافوا الواحد المتصل إلى مفرد أفردوه، وإن أضافوا إلى اسم جمع كقوله: (فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما) (التحريم : ٤)، وإنما هما قلبان، وكقوله: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما) (المائدة: ٣٨)، وتقول العرب: اضرب أعناقهما، وهذا أفصح استعمالهم، وتارة يفردون المضاف فيقولون لسانهما وقلبهما، وتارة يثنون كقوله : " ظهراهما مثل ظهور الترسين " والقرآن إنما نزل بلغة العرب لا بلغة العجم والطماطم والأنباط الذين أفسدوا الدين وتلاعبوا بالنصوص فجعلوها عرضة لتأويل الجاهلين، وإذا كان من لغتهم وضع الجمع موضع التثنية لئلا يجمعوا في لفظ واحد بين تثنيتين، فلأن يوضع الجمع موضع التثنية فيما إذا كان المضاف إليه تثنية أولى بالجواز، يدل عليه أنك لا تجد في كلامهم عينان ويدان ونحو ذلك، ولا يلتبس على السمع قول المتكلم: نراك بأعيننا ونأخذ بأيدينا، ولا يفهم منه بشر على وجه الأرض عيونا كثيرة على وجه واحد. (ابن القيم، 40)

ولأن الله سبحانه وتعالى يذكر نفسه تارة بصيغة المفرد، مظهرًا أو مضمرًا، وتارة بصيغة الجمع، كقوله: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا) (الفتح: ١) وأمثال ذلك، ولا يذكر نفسه بصيغة التثنية قط، لأن صيغة الجمع تقتضي التعظيم الذي يستحقه، وربما تدل على معاني أسمائه، وأما صيغة التثنية فتدل على العدد المحصور، وهو مقدس عن ذلك. (ابن تيمية، 75)

وحيث صح هذا في لغة العرب، وجاءت السنة بما يثبت العينين لله تعالى وجب حمل ما ورد بإثبات المفرد أو المجموع على التثنية لأن النبي صلى الله عليه وسلم بيّن أن لله عينين (ابن حزم، 298)، وهو مبلغ عن الله تعالى فبيانه موافقا لبيان محكم التنزيل. (ابن خزيمة، 97/1)

ثانيا: موقف المبتدعة من إثبات صفة العين الثابتة لله تعالى – عرض ونقد–:

للمبتدعة ومن تأثر بهم تجاه هذه الصفة اتجاهان رئيسيان:

الاتجاه الأول: اتجاه النفي والتأويل:

نفت الجهمية ومن اتبعهم من المعتزلة ومتأخرو الأشعرية صفة العينين الثابتة لله تعالى، ومن ثم سعوا إلى تأويل النصوص الواردة في إثباتها، تارة بحمل العينين على البصر، وتارة بحملها على العلم، وتارة بحملها على الحفظ والرعاية والحراسة.

يقول الرازي: "قوله : (بِأَعْيُنِنَا) (هود: ٣٧) لا يمكن إجراؤه على ظاهره .. لأنه ثبت بالدلائل القطعية العقلية كونه تعالى منزها عن الأعضاء والجوارح والأجزاء والأبعاض، فوجب المصير فيه إلى التأويل وهو من وجود الأول: أن معنى بأعيننا أي بعين الملك الذي كان يعرفه كيف يتخذ السفينة، يقال فلان عين على فلان نصب عليه ليكون منفحصًا عن أحواله ولا تحول عنه عينه.

الثاني : أن من كان عظيم العناية بالشيء فإنه يضع عينه عليه، فلما كان وضع العين على الشيء سببًا لمبالغة الاحتياط والعناية جعل العين كناية عن الاحتياط، فلهذا قال المفسرون معناه بحفظنا إياك حفظ من يراك ويملك دفع السوء عنك". (الرازي، 334/17)

ويقول: "قوله : (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) (طه : ٣٩) الأول: المراد من العين العلم؛ أي: ترى على علم مني؛ ولما كان العالم بالشيء يحرسه عن الآفات كما أن الناظر إليه يحرسه عن الآفات أطلق لفظ العين على العلم لاشتباههما من هذا الوجه، الثاني: المراد من العين الحراسة وذلك لأن الناظر إلى الشيء يحرسه عما يؤذيه فالعين كأنها سبب الحراسة فأطلق اسم السبب على المسبب مجازا وهو كقوله تعالى: (إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى) (طه: ٤٦)، ويقال : عين الله عليك إذا دعا لك بالحفظ والحياطة، قال القاضي ظاهر القرآن يدل على أن المراد من قوله: (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) (طه: ٣٩)، الحفظ والحياطة". (الرازي، 355)

ويقول الجويني قوله: "والذي يصح عندنا .. حمل العينين على البصر". (الحويني، 67)

ويقول ابن فورك تعليقا على الحديث : "إن الدجال أعور وإن ربكم ليس بأعور؛ ومعنى هذا الخبر أيضًا: تحقيق وصف الله تعالى بأنه بصير، وأنه لا يصح عليه النقص والعمى، ولم يرد بذلك إثبات الجارحة وإنما أراد نفي النقص؛ لأن العور نقص". (ابن فورك، 253)

وهكذا زعم أولئك أن من أثبت لله عينين، فقد أثبت له جوارح تشبه جوارح الخلق تنفيرًا للناس عن إثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم (الغنيمان، 288/1–289)، يقول الدارمي : " وادعى المعارض أيضًا: أن قوما زعموا أن لله عينا، يريدون جارحًا كجارح العين من الإنسان وأرادوا التركيب، فيقال لهذا المعارض: أما ما ادعيت أن قوما يزعمون أن لله عينا فإنا نقوله؛ لأن الله قاله ورسوله، وأما جارح كجارح العين من الإنسان على التركيب فهذا كذب ادعيته عمدًا، لما أنك تعلم أن أحدًا لا يقوله، غير أنك لا تألو ما شنعت ليكون أنجع لضلالتك في قلوب الجهال، والكذب لا يصلح منه جد ولا هزل، فمن أي الناس سمعت أنه قال: جارح

مركب ؟ فأشر إليه، فإن قائله كافر، فكم تكرر قولك: جسم مركب، وأعشاء وجوارح، وأجزاء، كأنك تهول بهذا التشنيع علينا أن نكف عن وصف الله بما وصف نفسه في كتابه، وما وصفه الرسول". (الدارمي، 827/2)

ولا شك أن حديث الباب صريح في الرد على أولئك وإثبات صفة العينين لله تعالى حقيقة لا مجازا.

وتجد الإشارة هنا إلى أمور :

الأمر الأول: أن لفظ الجوارح لفظ مجمل لم يرد في كتاب ولا سنة لا بنفي ولا إثبات وباب الأسماء والصفات يتبع فيها الألفاظ الشرعية فلا نطلق إلا ما يرد به الأثر (ابن تيمية، 53)، وعليه فلا يُطلق هذا اللفظ على الله تعالى لا نفيا ولا إثباتًا، وأما المعنى فيستفصل عنه: فيقال لمن أطلقه إن أردت بنفي الجوارح عن الله نفي الصفات الثابتة له، فقولك باطل، مخالف للنصوص الشرعية، وإن أردت بنفي الجوارح عن الله نفي أن يكون الله جسمًا كالمخلوق له جثة وأعضاء فالمعنى صحيح لكن اللفظ فاسد. (الحمد، 66/65)

يقول الطحاوي: "لا يقال لهذه الصفات إنها أعضاء، أو جوارح، أو أدوات، أو أركان، لأن الركن جزء الماهية، والله تعالى هو الأحد الصمد، لا يتجزأ – سبحانه وتعالى، والأعضاء فيها معنى التفريق والتعضية، تعالى الله عن ذلك، والجوارح فيها معنى الاكتساب والانتفاع. وكذلك الأدوات هي الآلات التي ينتفع بها في جلب المنفعة ودفع المضرة. وكل هذه المعاني منتفية عن الله تعالى، ولهذا لم يرد ذكرها في صفات الله تعالى. فالألفاظ الشرعية صحيحة المعاني، سالمة من الاحتمالات الفاسدة، فكذلك يجب أن لا يعدل عن الألفاظ الشرعية نفيا ولا إثباتًا، لئلا يثبت معنى فاسد، أو ينفى معنى صحيح. وكل هذه الألفاظ المجملة عرضة للمحق والمبطل". (الحنفي، 266/1)

الأمر الثاني: أن من السلف من فسر قوله تعالى : (بِأَعْيُنِنَا) (هود: ٣٧)، أي بمرأى منا أو بعلمنا أو برؤيتنا وحفظنا (السمعاني، 427/2)، وقوله تعالى: (عَلَى عَيْنِي) (طه : ٣٩)، أي: "بمرأى مني ومحبة وإرادة (الطبري، 304/18)، ولا يعني هذا موافقتهم لأهل التعطيل والتأويل، لأن السلف فسروها باللازم، مع إثبات الأصل، وهي العين، وأما أهل التحريف يقولون بمرأى منا بدون إثبات العين، فظهر الفرق بين الفريقين". (العثيمين، 314/1)

الأمر الثالث: أن قوله تعالى لنوح عليه السلام (واصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا) (هود: ٣٧)، وقوله عن سفينة نوح عليه السلام : (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) (القمر : ١٤)، وقوله الموسى عليه السلام (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) (طه: ٣٩)، وقوله لمحمد صلى الله عليه وسلم (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) (الطور : ٤٨)، لا يعني أن السفينة تجري في عين الله أو أن نوح وموسى ومحمد عليهم السلام في عين الله تعالى؛ فلا يكون مستندًا لأهل الحلول والاتحاد ووحدة الوجود؛ لأن هذا القول باطل من وجهين:

الأول: أنه لا يقتضيه الكلام بمقتضى الخطاب العربي، والقرآن إنما نزل بلغة العرب قال الله تعالى: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (يوسف : ٢)، وقال تعالى : (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ) (الشعراء: ١٩٣ – ١٩٥).

ولا أحد يفهم من قول القائل : فلان يسير بعيني أن المعني أنه يسير داخل عينه. ولا من قول القائل: فلان تخرج على عيني. أن تخرجه كان وهو راكب على عينه. ولو ادعى مدع أن هذا ظاهر اللفظ في هذا الخطاب لضحك منه السفهاء فضلاً عن العقلاء.

الثاني: أن هذا ممتنع غاية الامتناع، ولا يمكن لمن عرف الله وقدره حق قدره أن يفهمه في حق الله تعالى، لأن الله تعالى مستو على عرشه بائن من خلقه، لا يحل فيه شيء من مخلوقاته، ولا هو حال في شيء من مخلوقاته سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا.

فإذا تبين بطلان هذا من الناحية اللفظية والمعنوية، تعين أن يكون ظاهر الكلام وحقيقته المرادة أن السفينة تجري وعين الله ترعاها وتكلؤها، وكذلك تربية موسى تكون على عين الله يرعاه ويكلؤه بها.

وهذا معنى قول بعض السلف: بمرأى منى، فإن الله تعالى إذا كان يكلؤه بعينه لزم من ذلك أن يراه، ولازم المعنى الصحيح جزء منه، كما هو معلوم من دلالة اللفظ، حيث تكون بالمطابقة والتضمن والالتزام. (ابن عثيمين، 123/122)

الاتجاه الثاني: اتجاه التمثيل:

وقد ذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى أن عينه تعالى كسائر الأعين، وقولهم باطل بالنقل والعقل، فالله تعالى له المثل الأعلى، لا تضرب له الأمثال (العيني، 102/25)، كما قال تعالى : (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى) (النحل : ٦٠)، وقال: (فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ) (النحل : ٧٤)، أي : لا تمثلوا لله الأمثال، ولا تشبهوا له الأشباه، فإنه لا مثل له ولا شبه " . (الطبري، 259/17)

يقول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله "وقد وصف الله تعالى نفسه بأن له المثل الأعلى... وهو الكمال المطلق، المتضمن للأمور الوجودية، والمعاني الثبوتية، التي كلما كانت أكثر في الموصوف وأكمل – كان بها أكمل وأعلى من غيره.

ولما كانت صفات الرب سبحانه وتعالى أكثر وأكمل، كان له المثل الأعلى، وكان أحق به من كل ما سواه. بل يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى المطلق اثنان، لأنهما إن تكافآ من كل وجه، لم يكن أحدهما أعلى من الآخر، وإن لم يتكافآ، فالموصوف به أحدهما وحده، فيستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى مثل أو نظير". (الحنفي، 119/1)

"وصفات الله قد تشترك مع صفات خلقه في اللفظ وفي المعنى العام المطلق قبل أن تضاف، وبمجرد إضافتها تختص صفات الخالق بالخالق، وصفات المخلوق بالمخلوق، فصفات الخالق تليق بجلاله وعظمته وربوبيته وقيوميته، وصفات المخلوق تليق بحدوثه وضعفه ومخلوقيته". (الحمد، 66)

و "إذا كان المخلوق منزها عن مماثلة المخلوق مع الموافقة في الاسم، فالخالق أولى أن ينزه عن مماثلة المخلوق، وإن حصلت موافقة في الاسم"، والفرق بين صفة العين الثابتة لله تعالى وبين عين المخلوقات كبير، يقول ابن خزيمة رحمه الله : "نحن نقول : لربنا الخالق عينان يبصر بهما ما تحت الثرى، وتحت الأرض السابعة السفلى، وما في السماوات العلى، وما بينهما من صغير وكبير، لا يخفى على خالقنا خافية في السماوات السبع والأرضين السبع، ولا مما بينهم ولا فوقهم، ولا أسفل منهن لا يغيب عن بصره من ذلك شيء، يرى ما في جوف البحار ولججها كما يرى عرشه الذي هو مستو عليه، وبنو آدم وإن كانت لهم عيون يبصرون بها فإنهم إنما يرون ما قرب من أبصارهم، مما لا حجاب ولا ستر بين المرئي وبين أبصارهم .. والبصير من بني آدم لا يدرك ببصره شخصا آخر من بني آدم، وبينهما فرسخان فأكثر، وكذلك لا يرى أحد من الآدميين ما تحت الأرض إذا كان فوق المرئي من الأرض والتراب قدر أنملة، أو أقل منها بقدر ما يغطي ويواري الشيء، وكذلك لا يدرك بصره إذا كان بينهما حجاب من حائط، أو ثوب صفيق، أو غيرهما مما يستر الشيء عن عين الناظر، فكيف يكون يا ذوي الحجا مشبها من يصف عين الله بما ذكرنا، وأعين بني آدم بما وصفنا ونزيد شرحًا وبيانا نقول : عين الله عز وجل قديمة، لم تزل باقية، ولا يزال محكوم لها بالبقاء، منفي عنها الهلاك، والفناء، وعيون بني آدم محدثة مخلوقة، كانت عدما غير مكونة، فكونها الله ، وخلقها بكلامه الذي هو : صفة من صفات ذاته، وقد قضى الله وقدر أن عيون بني آدم تصير إلى بلاء، عن قليل، والله نسأل خير ذلك المصير ، وقد يعمي الله عيون كثير من الآدميين فيذهب بأبصارها قبل نزول المنايا بهم، ولعل كثيرا من أبصار الآدميين قد سلط خالقنا عليها ديدان الأرض حتى تأكلها، وتفنيها بعد نزول المنية بهم، ثم يشبهها الله بعد ... فما الذي يشبه – يا ذوي الحجا – عين الله التي هي موصوفة بما ذكرنا عيون بني آدم التي وصفناها بعد؟ ولست

أحسب لو قيل لبصير لا آفة ببصره، ولا علة بعينه (ابن تيمية، 50)، ولا نقص، بل هو أعين أكحل أسود الحدق، شديد بياض العينين، أهدب الأشفار عينك كعين فلان الذي هو صغير العين أزرق أحمر بياض العينين، قد تناثرت أشفاره، وسقطت أو كان أخفش العين، أزرق، أحمر بياض العينين، قد تناثرت أشفاره، وسقطت أو كان أخفش العين، أزرق أحمر بياض شحمها، يرى الموصوف الأول: الشخص من بعيد، ولا يرى الثاني مثل ذلك الشخص من قدر عشر ما يرى الأول، لعلة في بصره، أو نقص في عينه، إلا غضب من هذا وأنف منه، فلعله يخرج إلى القائل له ذلك إلى المكروه من الشتم والأذى، ولست أحسب عاقلاً يسمع هذا المشبه عيني أحدهما بعيني الآخر، إلا هو يكذب هذا المشبه عين أحدهما بعين الآخر، ويرميه بالعته، والخبل والجنون، ويقول له: لو كنت عاقلاً يجري عليك القلم: لم تشبه عيني أحدهما بعيني الآخر، وإن كانا جميعا يسميان بصيرين، إذ ليسا بأعميين، ويقال: لكل واحد منهما عينان يبصر بهما، فكيف لو قيل له: عينك كعين الخنزير، والقرد، والدب والكلب، أو غيرها من السباع، أو هوام الأرض، والبهائم، فتدبروا يا ذوي الألباب أبين عيني خالقنا الأزلي الدائم الباقي، الذي لم يزل ولا يزال، وبين عيني الإنسان من الفرقان أكثر، أو مما بين أعين بني آدم وبين عيون ما ذكرنا ؟ تعلموا وتستيقنوا أن من سمى علماءنا مشبهة غير عالم بلغة العرب، ولا يفهم العلم، إذ لم يجز تشبيه أعين بني آدم بعيون المخلوقين من السباع والبهائم، والهوام، وكلها لها عيون يبصرون بها، وعيون جميعهم محدثة مخلوقة، خلقها الله بعد أن كانت عدمًا، وكلها تصير إلى فناء وبلى، وغير جائز إسقاط اسم العيون والأبصار عن شيء منها، فكيف يحل لمسلم – لو كانت الجهمية من المسلمين – أن يرموا من يثبت لله عينا بالتشبيه، فلو كان كل ما وقع عليه الاسم كان مشبها لما يقع عليه ذلك الاسم، لم يجز قراءة كتاب الله، ووجب محو كل آية بين الدفتين فيها ذكر نفس الله، أو عينه، أو يده، ولوجب الكفر بكل ما في كتاب الله عز وجل من ذكر صفات الرب، كما يجب الكفر بتشبيه الخالق بالمخلوق، إلا أن القوم جهلة، لا يفهمون العلم، ولا يحسنون لغة العرب، فيضلون ويضلون والله نسأل العصمة والتوفيق والرشاد في كل ما نقول وندعو إليه". (ابن خزيمة، 113/1–117)

الخاتمة:

وتشتمل على أهم النتائج:

1- دلت الأحاديث على إثبات صفتي السمع والبصر وصفة العين لله تعالى مع الإشارة إليها بما هو محسوس بيّن من صفات نفس الإنسان.

٢- إثبات الصفات مع الإشارة إليها بما هو محسوس معهود طريق نبوي في إيضاح معناها وتحقيق ثبوتها.

3- إثبات الصفات مع الإشارة إليها بما هو محسوس معهود بيّن؛ فيه إثبات لحقيقة الصفة، ورفع لتوهم المجاز والاحتمال، ورد على النفاة والمؤولة والمفوضة، وليس فيه طريق إلى التمثيل.

4- صح عن النبي صلى الله عليه وسلم إشارته إلى عينه وأذنه عند إثباته لصفتي السمع والبصر لله تعالى، وقد روى ذلك عنه أبو هريرة رضي الله عنه.

5- صح عن النبي صلى الله عليه وسلم إشارته إلى عينيه عند إثباته لصفتي السمع والبصر الله تعالى، وقد روى ذلك عنه عقبة بن عامر رضي الله عنه.

6- صح عن النبي صلى الله عليه وسلم إشارته إلى عينه عند إثباته لصفة العينين لله تعالى وقد روى ذلك عنه عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

7- يجوز إشارة الإنسان إلى صفات نفسه عند ذكر صفات الله تعالى، كما يجوز اقتران إثبات الصفات لله تعالى بالإشارة إليها بالفعل إلا إذا خشي أن يدخل على من يراه شبهة التمثيل.

8- ما روي عن بعض أئمة أهل السنة من النهي عن الإشارة إلى صفات نفسه عند ذكر صفات الله تعالى؛ لا يثبت عنهم، وعلى فرض ثبوته، فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم الإشارة ولنا فيه أسوة، كما أنه قد يحمل على خشية التمثيل.

٩- للمبتدعة ومن تأثر بهم تجاه الأخبار الدالة على الإشارة إلى صفات نفسه عند ذكر صفات الله تعالى اتجاهان رئيسيان، التمثيل والتأويل، وقد تبين بطلانهما.

١٠ – لصفة السمع الثابتة لله تعالى معنيان؛ معنى عام وهو إدراك الصوت؛ ويقصد به التهديد أو التأييد أو الإحاطة، ومعنى خاص: وهو سمع الإجابة منه تعالى للسائلين والداعين والعابدين فيجيبهم ويثيبهم.

١١- لصفة البصر والرؤية الثابتة لله تعالى معنيان؛ إدراك المبصرات ورؤيتها، والعلم.

١٢ – إدراك المبصرات ورؤيتها على أقسام قسم يقصد به التهديد، وقسم يقصد به التأييد، وقسم يقصد به الإحاطة.

١٣- من الصفات الذاتية الثابتة لله تعالى المتعلقة بصفة البصر : العين والنظر والرؤية، فالله تعالى يبصر بعينه ويرى وينظر إلى من يشاء من عباده.

١٤ – صفة النظر الثابتة لله تعالى على قسمين نظر خاص وهو نظر المحبة أو الرحمة والعطف، ونظر عام يعم كل شيء.

١٥ – صفة السمع والبصر والرؤية والنظر من الصفات الذاتية والاختيارية المتعلقة بمشيئة الله تعالى وقدرته.

١٦ – سمع الله تعالى وبصره ورؤيته ونظره متجدد، فهو سبحانه يسمع ويبصر وينظر ويرى الأقوال والأعمال بعد أن وجدت، وهذا التجدد أمر وجودي وليس مجرد نسب وإضافات عدمية لا حقيقة لها في الأعيان.

١٧ – دل على إثبات صفة السمع والبصر لله تعالى الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة.

١٨- للمبتدعة تجاه صفتي السمع والبصر أربعة اتجاهات: نفيها وتعطيلها، أو تأويلها بمعنى العلم، أو نفي تعلقها بالمشيئة والإرادة ونفي وقوع التجدد فيها، أو تمثيل الله بخلقه فيها .

١٩ – دل على إثبات صفة العينين لله تعالى الكتاب والسنة والإجماع.

٢٠ – لا تنافي بين ما ورد في القرآن الكريم من مجيء صفة العين بلفظ الإفراد ولفظ الجمع، وبين ما دل عليه الحديث من إثبات التثنية في العين.

٢١ – للمبتدعة ومن تأثر بهم تجاه صفة العينين اتجاهان رئيسيان التمثيل أو النفي والتأويل بحملها على البصر، أو العلم، أو الحفظ والرعاية والحراسة.

٢٢ – لفظ الجوارح لفظ مجمل لم يرد في كتاب ولا سنة لا بنفي ولا إثبات، وعليه فلا يُطلق على الله تعالى، ويستفصل عن معناه، فإن أريد بنفيه حق أثبت المعنى دون اللفظ، وإن أريد بنفيه باطل نفي المعنى واللفظ كلاهما.

٢٣- تفسير السلف للآيات المثبتة لصفة العينين لله تعالى بالعلم أو الرؤية أو الحفظ والرعاية لا يعني موافقتهم لأهل التعطيل والتأويل، لأن السلف فسروها باللازم، مع إثبات العينين، وأما أهل التحريف فاقتصروا على اللازم، بدون إثبات العين، فظهر الفرق بين الفريقين.

٢٤- ليس في الآيات الدالة على إثبات العين لله تعالى مستند لأهل الحلول والاتحاد ووحدة الوجود.

فهرس المراجع والمصادر:

1- الإبانة الكبرى، تأليف: عبيد الله بن محمد ابن بطة العكبري، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض

2- إبطال التأويلات الأخبار الصفات، تأليف: محمد بن الحسين ابن الفراء، تحقيق: محمد بن حمد الحمود النجدي، دار إيلاف الدولية الكويت.

3-ابن حزم وموقفه من الإلهيات عرض ونقد تأليف: د. أحمد بن ناصر الحمد، مركز البحث العلمي وإحياء التراث، جامعة أم القرى، ط ١، ١٤٠٦هـ .

٤- الاحتجاج بالآثار السلفية على إثبات الصفات الإلهية والرد على المفوضة والمشبهة والجهمية، جمع عادل بن عبد الله آل حمدان، دار الأمر الأول، ط ١، ١٤٣٢هـ.

5- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، تأليف: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار الراية، ط ١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.

٦- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن محمد القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣ هـ.

7-الأسماء والصفات، تأليف: أحمد بن الحسين البيهقي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي مكتبة السوادي جدة - المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

8-أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، تأليف نخبة من العلماء وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢١هـ.

9- أصول الدين للإمام أبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي مطبعة الدولة استانبول ط ١، ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م.

١٠- بدائع الفوائد، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان..

١١- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١، ١٤٢٦هـ.

١٢- تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمد بن محمد الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٣- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تأليف: طاهر بن محمد الأسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، لبنان، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٤ - التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، تحقيق د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ٦، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٥- التسعينية، تأليف: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية دراسة وتحقيق: الدكتور محمد بن إبراهيم العجلان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٦ - تعريف الخلق بالخالق، تأليف: د. وفاء علي الحمدان المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد، حي السلامة، جدة.

١٧ - التفتازاني وموقفه من الإلهيات عرض ونقد رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، إعداد: عبد الله علي حسين الملا، ١٤١٦هـ - ١٤١٧هـ.

١٨ – تفسير أسماء الله الحسنى، تأليف: إبراهيم الزجاج، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية.
١٩ – تفسير أسماء الله الحسنى، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، تحقيق: عبيد بن علي العبيد الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
٢٠– تفسير القرآن العظيم، تأليف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.
٢١– تفسير القرآن، تأليف منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
٢٢– التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تأليف: يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧ هـ.
٢٣ – تنزيه القرآن عن المطاعن، تأليف: القاضي عبد الجبار بن أحمد المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠٠٦م.
٢٤ – تهذيب التهذيب، تأليف: أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط ١، ١٣٢٦هـ.
٢٥– جامع البيان في تأويل القرآن، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ .
٢٦– جامع الرسائل، تأليف: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني تحقيق د. محمد رشاد سالم دار العطاء، الرياض، ط ١، ١٤٢٢هـ –٢٠٠١م.
٢٧– الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه – صحيح البخاري، تأليف: محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ.
٢٨– الجرح والتعديل، تأليف: عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن – الهند، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١ ، ١٢٧١هـ – ١٩٥٢ م.
٢٩– الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: علي بن حسن عبد العزيز بن إبراهيم حمدان بن محمد، دار العاصمة المملكة العربية السعودية، ط ٢ ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
٣٠ – حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، مطبعة المدني، القاهرة.
٣١– الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، تأليف: إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية المملكة العربية السعودية – الرياض، ط ٢ ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
٣٢– خلق أفعال العباد، تأليف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، دار المعارف، المملكة العربية السعودية – الرياض.
٣٣– درء تعارض العقل والنقل، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية المملكة العربية السعودية، ط ٢ ، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م.

٣٤- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها تأليف محمد ناصر الدين الألباني مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، ط ١.

٣٥- السنة، تأليف: عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، تحقيق د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، ط ١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٣٦- سنن ابن ماجه، تأليف: محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

٣٧- سنن أبي داود، تأليف: سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

٣٨- سنن الترمذي، تأليف: محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق وتعليق أحمد محمد شاكر محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢ ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٣٩- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تأليف: هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة المملكة العربية السعودية، ط ٨، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٤٠- شرح العقيدة الأصفهانية، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد بن رياض الأحمد، المكتبة العصرية - بيروت، ط ١، ١٤٢٥هـ ، ط. أخرى، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة دار المنهاج، دار جودة للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٣٠هـ.

٤١- شرح العقيدة الطحاوية، تأليف: محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، تحقيق شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١٠ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٤٢ - شرح العقيدة الواسطية، تأليف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، تحقيق: سعد فواز الصميل دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، طه، ١٤١٩هـ.

٤٣- شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية، تأليف: محمد بن خليل حسن هراس ضبط نصه وخرج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف دار الهجرة للنشر والتوزيع، الخبر، ط٣، ١٤١٥هـ.

٤٤- شرح القصيدة النونية المسماة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية للإمام ابن قيم الجوزية شرحها وحققها: د. محمد خليل هراس دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٤٥ - شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، تأليف: عبد الله بن محمد الغنيمان مكتبة الدار المدينة المنورة، ط ١، ١٤٠٥ هـ.

٤٦- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان تأليف محمد بن حبان ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م.

٤٧- صفات الله على الواردة في الكتاب والسنة، تأليف: علوي عبد القادر السقاف دار الهجرة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط ٣، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٤٨- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، تأليف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١ ، ١٤٠٨هـ.

٤٩- ضعيف سنن الترمذي، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طباعته والتعليق عليه زهير الشاويش، بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، المكتب الاسلامي، بيروت، ط ١ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

٥٠- طبقات الحفاظ تأليف محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٥١- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تأليف: محمود بن أحمد بن موسى العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٢ - الفتاوى الكبرى لابن تيمية، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨هـ -١٩٨٧م.

٥٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة بيروت، ١٣٧٩هـ .

٥٤- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، تأليف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٧م.

٥٥- قاعدة في المحبة، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد رشاد سالم مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة - مصر .

٥٦ - القاموس المحيط تأليف محمد بن يعقوب الفيروزآبادي تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ١٤٢٦ ٨، هـ - ٢٠٠٥ م.

٥٧- قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني المكتبة الإسلامية، عمان - الأردن، ط ١، ١٤٢١هـ.

٥٨- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، تأليف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط3، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ط. أخرى خرج أحاديثها وعلق عليها: أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف، أصداء المجتمع، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م.

٥٩ - الكامل في ضعفاء الرجال، تأليف: أبو أحمد بن عدي الجرجاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود علي محمد معوض، عبد الفتاحأبو سنة، الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٦٠- كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تأليف: إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني الشافعي، علق عليه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٦١- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، تأليف: محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد المملكة العربية السعودية - الرياض، طه ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٦٢- كتاب السنة لابن أبي عاصم، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي، ط1، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.

٦٣- كتاب العين، تأليف : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصـــري، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٦٤ – الكشـاف عن حقائق غوامض التنزيل، تأليف: أبو القاسـم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشـري جار الله، دار الكتاب العربي بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ.

٦٥- لسان العرب تأليف محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر بيروت، ط ، ١٤١٤هـ.

٦٦ – المتواري علي تراجم أبواب البخاري، تأليف: أحمد بن محمد ابن المنير، تحقيق: صـــلاح الدين مقبول أحمد، مكتبة المعلا – الكويت.

٦٧- مجموع الفتاوى، تأليف: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاســم، مجمع الملك فهد الطباعة المصحف الشريف المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

٦٨- مجموع فتاوى ورسـائل فضـيلة الشـيخ محمد بن صـالح العثيمين جمع وترتيب فهد بن ناصـر بن إبراهيم السـليمان، دار الثريا للنشر، ط ٢، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

٦٩ – المحكم والمحيط الأعظم، تأليف: علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.

٧٠- مختصـر الصـواعق المرسـلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم الجوزية اختصـره محمد بن محمد ابن الموصـلي، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة مصر، ط ١، ١٤٢٢هـ . ٢٠٠١م.

٧١ – المستدرك على الصحيحين، تأليف: محمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

٧٢ مســند الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: أحمد بن محمد بن حنبل الشــيباني، تحقيق شــعيب الأرنؤوط – عادل مرشــد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١ ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

٧٣ – المسـند الصـحيح المختصـر بنقل العدل عن العدل إلى رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم، تأليف: مسـلم بن الحجاج القشـيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧٤- مشـكل الحديث وبيانه، تأليف: محمد بن الحسـن بن فورك الأنصـاري الأصـبهاني، تحقيق: موسـى محمد علي، عالم الكتب، بيروت، ط ٢، ١٩٨٥م.

٧٥ –مصطلحات في كتب العقائد دراسة وتحليل، محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، ط1.

٧٦- معالم التنزيل في تفسـير القرآن – تفسـير البغوي، تأليف: الحسـين بن مسـعود بن محمد بن الفراء البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ.

٧٧- معتقد أهل السـنة والجماعة في أسـماء الله الحسـنى، تأليف: محمد بن خليفة بن علي التميمي، أضـواء السـلف، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

٧٨–المعجم الأوسط، تأليف: سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة.

٧٩- المعجم الكبير، تأليف: سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ٢.
٨٠- معجم مقاييس اللغة، تأليف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون دار الفكر، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.
٨١- المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها، تأليف: عبد الله بن محمد القرني، دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤١٩هـ.
٨٢- مفاتيح الغيب – التفسير الكبير، تأليف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ.
٨٣- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تأليف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.
٨٤- المفردات في غريب القرآن، تأليف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم الدار الشامية – دمشق بيروت، ط ١، ١٤١٢ هـ.
٨٥ -مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تأليف: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، ط1، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٨٦- منهج إمام الحرمين في دراسة العقيدة، عرض ونقد، تأليف: د. أحمد بن عبد اللطيف آل عبد اللطيف، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
87-موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، لسليمان بن صالح بن عبد العزيز الغصن دار العاصمة للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٨٨- نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد، تأليف: عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني، تحقيق: رشيد بن حسن الألمعي مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٨٩- النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.